مستقبل اللغة العربية [1]

والعالم العربى

(١) ما هو مستقبل اللغة العربية ؟

انما اللغة مظهر من مظاهر قوة الابتكار فى مجموع الأمة ، أو ذاتها العامة ، فاذا هجمت قوة الابتكار توقفت اللغة عن مسيرها ، وفى الوقوف التقهقر ، وفى التقهقر الموت والاندثار

اذاً فمستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل الفكر المبدع الكائن — أو غير الكائن — فى مجموع الأمم التى تتكلم اللغة العربية ، فان كان ذلك الفكر موجوداً كان مستقبل اللغة عظيما كماضيها وان كان غير موجود فمستقبلها سيكون كحاضر شقيقتيها السريانية والعبرانية

---

(١) كانت مجلة الهلال الغراء وجهت هذه الاسئلة للرجال الذين يعول على آرائهم ونحن ننقل رد نابغتنا شاكرين للهلال تفننه في خدمة الأدب العربى

وما هذه القوة التى ندعوها بقوة الابتكار ؟

هى فى الأمة عزم دافع الى الامام ، هى فى قلبها جوع وعطش وشوق الى غير المعروف ، وهى في روحها سلسلة أحلام تسعى الى تحقيقها ليلا نهاراً ولكنها لا تحقق حلقة من أحد طرفيها الا أضافت الحياة حلقة جديدة فى الطرف الآخر ، هى فى الأفراد النبوغ وفى الجماعة الحماسة ، وما النبوغ فى الأفراد سوى القدرة على وضع ميول الجماعة الخفية فى أشكال ظاهرة محسوسة ، ففي الجاهلية كان الشاعر يتأهب لأن العرب كانوا فى حالة التأهب ، وكان ينمو ويتمدد أيام المخضرمين لأن العرب كانوا فى حالة النمو والتمدد ، وكان يتشعب أيام المولدين لأن الأمة الاسلامية كانت فى حالة التشعب ، وظل الشاعر يتدرج ويتصاعد ويتلون فيظهر آنا كفيلسوف ، وآونة كطبيب ، وأخرى كفلكى حتى راود النماس قوة الابتكار فى الأمم العربية فنامت وبنوها تحول الشعراء الى ناظمين والفلاسفة الى كلاميين والأطباء الى دجالين والفلكيون الى منجمين

اذا صح ما تقدم كان مستقبل اللغة العربية رهن قوة الابتكار فى مجموع الأمم التى تتكلمها ، فان كان لتلك الأمم ذات خاصة (أو وحدة معنوية) وكانت قوة الابتكار في تلك الذات قد استيقظت بعد نومها الطويل كان مستقبل اللغة العربية عظيما كماضيها — والا فلا

* * *

(٢) وما عسى أن يكون تأثير التمدين الأوربى والروح الغربية فيها ؟

إنما (التأثير) شكل من الطعام تتناوله اللغة من خارجها فتمضغه وتبتلعه وتحول الصالح منه الى كيانها الحى كما تحول الشجرة النور والهواء وعناصر التراب الى أفنان فأوراق فأزهار فأثمار ، ولكن اذا كانت اللغة بدون أضراس تقضم ولا معدة تهضم فالطعام يذهب سدى بل ينقلب سما قاتلا : وكم من شجرة تحتال على الحياة وهى في الظل فاذا ما نقلت الى نور الشمس ذبلت وماتت ، وقد جاء « من له يعطى ويزاد ومن ليس له يؤخذ منه »

وأما الروح الغريبة فهي دور من أدوار الانسان وفصل من فصول حياته ، وحياة الانسان موكب هائل يسير دائماً الى الامام ، ومن ذلك الغبار الذهبي المتصاعد من جوانب طريقه تتكوّن اللغات والحكومات والمذاهب : فالأمم التي تسير في مقدمة هذا الموكب هي المبتكرة ، والمبتكر مؤثر ، والأمم التي تمشي في مؤخرته هي المقلدة ، والمقلد يتأثر ، فلما كان الشرقيون سابقين والغربيون لاحقين كان لمدينتنا التأثير العظيم على لغاتهم ، وها قد أصبحوا هم السابقين وأمسينا نحن اللاحقين فصارت مدنيتهم بحكم الطبع ذات تأثير عظيم على لغتنا وأفكارنا وأخلاقنا

بيد ان الغربيين كانوا في الماضي يتناولون ما نطبخه فيمضغونه ويبتلعونه محولين الصالح منه الى كيانهم الغربي ، أما الشرقيون في الوقت الحاضر فيتناولون ما يطبخه الغربيون ويبتلعونه ولكنه لا يتحول الى كيانهم الشرقي بل يحولهم الى شبه غربيين ، وهي حالة أخشاها وأتبرم منها لأنها تبين لي الشرق تارة كعجوز فقد أضراسه وطوراً كطفل بدون أضراس !

ان روح الغرب صديق وعـدولنا . صديق اذا تمكنا منه وعدو اذا تمكن منا . صديق اذا فتحنا له قلوبنا وعدو اذا وهبناه قلوبنا . صديق اذا أخذنا منه مايوافقناوعدو اذا وضعنا نفوسنا في الحالة التى توافقه

* * *

(٣) وما يكون تأثير التطور السياسى الحاضر فى الأقطار العربية ؟

قد أجمع الكتاب والمفكرون فى الغرب والشرق على أن الاقطار العربيه فى حالة التشويش السياسى والادارى والنفسى :ولقـد اتفق أكثرهم على أن التشويش مجلبة الخراب والاضمحلال

أما أنا فاسأل ـ هل هو تشويش أم ملل ؟

ان كان مللا فالممال نهاية كل أمة وخاتمة كل شعب ـ الملل هو الاحتضار فى صورة النعاس والموت فى شكل النوم

وان كان بالحقيقة تشويشا فالتشويش في شرعى ينفع

دائما لانه يبين ما كان خافيا فى روح الامة ويبدل نشوتها بالصحو وغيبوبتها باليقظة ونظير عاصفة تهز بعزمها الاشجار لا لتقتلعها بل لتكسر أغصانها اليابسة وتبعثر أوراقها الصفراء واذا ما ظهر التشويش فى أمة لم تزل على شىء من الفطرة فهو أوضح دليل على وجود قوة الابتكار فى أفرادها والاستعداد فى مجموعها . انما السديم أول كلمة فى كتاب الحياة وليس بآخر كلمة منها . وما السديم سوى حياة مشوشة

اذاً فتأثير التطور السياسى سيحول ما فى الأقطار العربية من التشويش الى نظام . وما فى داخلها من الغموض والاشكال الى ترتيب والفة . ولكنه لا ولن يبدل مللها بالوجد وضجرها بالحماسة : ان الخزاف يستطيع أن يصنع من الطين جرة للخمر أو للخل ولكنه لا يقدر أن يصنع شيئاً من الرمل والحصى

*
* *

(٤) هل يعم انتشار اللغة العربية فى المدارس العالية وغير العالية وتعلم بها جميع العلوم ؟

لا يعم انتشار اللغة العربية فى المدارس العالية وغير العالية حتى تصبح تلك المدارس ذات صبغة وطنية مجردة ، ولن تعلم بها جميع العلوم حتى تنتقل المدارس من أيدى الجمعيات الخيرية واللجان الطائفية والبعثات الدينية الى أيدى الحكومات المحلية

ففى سوريا مثلا كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل الصدقة ، وقد كنا ولم نزل نلتهم خبز الصدقة لاننا جياع متضورون ، ولقد أحيانا ذلك الخبز ، ولما أحيانا أماتنا . أحيانا لانه أيقظ بعض مداركنا ونبه عقولنا قليلا ، وأماتنا لانه فرق كلمتنا وأضعف وحدتنا وقطع روابطنا وأبعد مابين طوائفنا حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة مختلفة الأذواق متضاربة المشارب كل مستعمرة منها تشد فى حبل احدى الأمم الغربية وترفع لواءها وتترنم بمحاسنها وأمجادها . فالشاب الذى تناول لقمة من العلم

فى مدرسة أميريكية قد تحول بالطبع الى معتمد أميركي ، والشاب الذى تجرع رشفة من العلم فى مدرسة يسوعية صار سفيراً افرنسيا ، والشاب الذى لبس قميصا من نسيج مدرسة روسية أصبح ممثلا لروسيا .. الى آخر ما هناك من المدارس وما تخرجه فى كل عام من الممثلين والمعتمدين والسفراء . وأعظم دليل على ما تقدم اختلاف الآراء وتباين المنازع فى الوقت الحاضر فى مستقبل سوريا السياسى . فالذين درسوا بعض العلوم باللغة الانكليزية يريدون أميركا وانكلترا وصية على بلادهم ، والذين درسوها باللغة الافرنسية يطلبون فرنسا أن تتولى أمرهم ، والذين لم يدرسوا بهذه اللغة أو بتلك لا يريدون هذه الدولة ولا تلك بل يتبعون سياسة أدنى وأقرب الى معارفهم وأقرب الى مداركهم

وقد يكون ميلنا السياسي الى الأمة التى نتعلم على نفقتها دليلا على عاطفة عرفان الجميل فى نفوس الشرقيين ، ولكن ما هذه العاطفة التى تبنى حجراً من جهة واحدة وتهدم جداراً من الجهة الأخرى ؟ ما هذه العاطفة التى تستنبت

زهرة وتقتلع غابة ؟ ما هـذه العاطفة التي تحيينا يوماً وتميتنا دهراً ؟

ان المحسنين الحقيقيين وأصحاب الأريحية لم يضعوا الشوك والحسك فى الخبز الذى بعثوا به الينا ، فهم بالطبع قد حاولوا نفعنا لا الضرر بنا . ولـكن كيف تولد ذلك الشوك ومن أين أتى ذلك الحسك ؟ هذا بحث آخر أتركه الى فرصة أخرى

نعم سوف يعم انتشار اللغة العربية فى المدارس العاليه وغير العالية وتعلم بها جميع العلوم فتتوحد ميولنا السياسية وتتبلور منازعنا القوميه لان فى المدرسة تتوحد الميول وفى المدرسـة تتجوهر المنازع ، ولـكن لا يتم هذا حتى يصير الواحد منا ابناً لوطن واحد بدلا من وطنين متناقضين أحدهما لجسده والآخر لروحه . لا يتم هذا حتى نستبدل خبز الصدقة بخبز معجون فى بيتنا ، لان المتسول المحتاج لا يستطيع أن يشترط على المتصدق الاريحى ومن يضع نفسه فى منزلة الموهوب لا يستطيع معارضة الواهب ، فالموهب مسير دائما والواهب مخير أبداً

*
* *

(٥) وهل تتغلب « اللغة العربية الفصحى » على اللهجات العامية المختلفة وتوحدها .

ان اللهجات العامية تحور وتهذب وبذلك الخشن فيها فيلين ولكنها لا ولن تغلب — ويجب ألا تغلب — لانها مصدر ما ندعوه فصيحاً من الكلام ومنبت ما نعده بليغاً من البيان

أن اللغات تتبع مثل كل شيء آخر سنة بقاء الانسب، وفى اللهجات العامية الشئ الكثير من الأنسب الذى سيبقي لانه أقرب الى فكرة الأمة وأدنى الى مرامى ذاتها العامة: قلت أنه سيبقى وأعنى بذلك أنه سيلتحم بجسم اللغة ويصير جزأ من مجموعها

لكل لغة من لغات الغرب لهجات عامية ، ولتلك اللهجات مظاهر أدبية وفنية لا تخلو من الجميل المرغوب والجديد المبتكر ، بل في أوربا وأميركا طائفة من الشعراء الموهوبين الذين تمكنوا من التوفيق بين العامى والفصيح

فى قصائدهم وموشحاتهم جاءت بليغة ومؤثرة : وعندى أن فى الموالى والزجل و « العتابا » و « المغنى » من الكنايات المستجدة والاستعارات المستملحة والتعابير الرشيقة المستنبطة ما لو وضعناه بجانب تلك القصائد المنظومة بلغة فصيحة ، والتى تملأ جرائدنا ومجلاتنا ، لبانت كباقة من الرياحين بقرب رابية من الحطب ، أو كسرب من الصبايا الراقصات المترنمات قبالة مجموعة من الجثث المحنطة

لقد كانت اللغة الايطالية الحديثة لهجة عامية في القرون المتوسطة ، وكان الخاصة يدعونها بلغة « الهمج » ولكن لما نظم بها دانتى وبتراك وكامونس وفرنسيس داسيزى قصائدهم وموشحاتهم الخالدة أصبحت تلك اللهجة لغة ايطاليا الفصحى وصارت اللاتينية بعد ذلك هيكلا يسير ولكن فى نعش على أكتاف الرجعيّين . . وليست اللهجات العامية فى مصر وسوريا والعراق أبعد عن لغة المعرى والمتنبى من لهجة « الهمج » الايطالية عن لغة أوفيدى وفرجيل . فاذا ما ظهر فى الشرق الأدنى عظيم ووضع كتابا عظيما فى احدى

تلك اللهجات تحولت هذه الى لغة فصحى . بيد أنى أستبعد حدوث ذلك فى الاقطار العربية لأن الشرقيين أشد ميلا الى الماضى منهم الى الحاضر أو المستقبل ، فهم المحافظون على معرفة منهم أو على غير معرفة ، فان قام كبير بينهم لزم فى اظهار مواهبه السبل البيانية التى سار عليها الأقدمون ، وما سبل الأقدمين سوى أقصر الطرقات بين مهد الفكر ولحده

* * *

(٦) وما هى خير الوسائل لاحياء اللغة العربية ؟

ان خير الوسائل ، بل الوسيلة الوحيدة لاحياء اللغة هى فى قلب الشاعر وعلى شفتيه وبين أصابعه ، فالشاعر هو الوسيط بين قوة الابتكار والبشر ، وهو السلك الذى ينقل ما يحدثه عالم النفس الى عالم البحث ، وما يقرره عالم الفكر الى عالم الحفظ والتدوين

الشاعر أبو اللغة وأمها ، تسير حيثما يسير وتربض أينما يربض ، واذا ماقضى جلست على قبره باكية منتحبة حتى

يمر بها شاعر آخر ويأخذ بيدها

واذا كان الشاعر أبو اللغة وأمها فالمقلد ناسج كفنها وحفار قبرها

أعنى بالشاعر كل مخترع كبيراً كان أو صغيراً ، وكل مكتشف قويا كان أو ضعيفاً ، وكل مختلق عظيما كان أو حقيرا ، وكل محب للحياة المجردة أماماً كان أو صعلوكا ،وكل من يقف متهيباً أمام الأيام والليالى فيلسوفاً كان أو ناطوراً للكروم

أما المقلد فهو الذى لا يكتشف شيئاً ولا يختلق أمراً بل يستمد حياته النفسية من معاصريه ويصنع أثوابه المعنوية من رقع يجزها من أثواب من تقدمه

أعنى بالشاعر ذلك الزارع الذى يفلح حقله بمحراث يختلف ولو قليلا عن المحراث الذى ورثه عن أبيه فيجىء بعده من يدعو المحراث الجديد باسم جديد ، وذلك البستانى الذى يستنبت بين الزهرة الصفراء والزهرة الحمراء زهرة ثالثة برتقالية اللون فيأتى بعده من يدعو الزهرة الجديدة

باسم جديد ، وذلك الحائك الذى ينسج على نوله نسيجاً ذا رسوم وخطوط تختلف عن الأقمشة التي يصنعها جيرانه الحائكون فيقوم بعده من يدعو نسيجه هذا باسم جديد.

أعنى بالشاعر الملاح الذى يرفع لسفينة ذات شراعين شراعاً ثالثاً ، والبناء الذى يبنى بيتاً ذا بابين ونافذتين بين بيوت كلها ذات باب واحد ونافذة واحدة ، والصباغ الذي يمزج الألوان التى لم يمزجها أحد قبله فيستخرج لوناً جديداً ، فيأتى بعد الملاح والبناء والصباغ من يدعو ثمار أعمالهم بأسماء جديدة فيضيف بذلك شراعاً الى سفينة اللغة ونافذة الى بيت اللغة ولوناً الى ثوب اللغة

أما المقلد فهو ذاك الذي يسير من مكان الى مكان على الطريق التى سار عليها ألف قافلة وقافلة ولا يحيد عنها مخافة أن يتيه ويضيع ، ذاك الذى يتبع بمعيشته وكسب رزقه وما كله ومشربه وملبسه تلك السبل المطروقة التى مشى عليها ألف جيل وجيل فتظل حياته كرجع الصدى ويبقى كيانه كظل ضئيل لحقيقة قصية لا يعرف عنها شيئاً ولا يريد أن يعرف

أعنى بالشاعر ذلك المتعبد الذى يدخل هيكل نفسه فيجثو باكياً فرحاً نادباً مهللاً مصغياً مناجياً ثم يخرج وبين شفتيه ولسانه أسماء وأفعال وحروف واشتقاقات جديدة لأشكال عبادته التى تتجدد في كل يوم وأنواع انجذابه التى تتغير فى كل ليلة فيضيف بعمله هذا وتراً فضياً الى قيثارة اللغة وعوداً طيباً الى موقدها

أما المقلد فهو الذى يردد صلاة المصلين وابتهال المبتهلين بدون ارادة ولا عاطفة فيترك اللغة حيث يجدها والبيان الشخصى حيث لا بيان ولا شخصية

أعنى بالشاعر ذاك الذي ان أحب امرأة انفردت روحه وتحت عن سبل البشر لتُلبس أحلامها أجساداً من بهجة النهار وهول الليل وولولة العواصف وسيكنة الأودية ثم عادت لتضفر من اختباراتها اكليلا لرأس اللغة وتصوغ من اقتناعها قلادة لعنق اللغة

أما المقلد فقلد حتى في حبه وغزله وتشبيبه فان ذكر وجه حبيبته وعنقها قال « بدر وغزال » وان خطر على باله

شعرها وقدها ولحظها قال « ليل وغصن بان وسهام » وان شكى قال « جفنٌ ساهرٌ وجُرْحٌ بعيدٌ وعذولٌ قريب » وان شاء أن يأتى بمعجزة بيانية قال « حبيبتى تستمطر لؤلؤ الدمع من نرجس العيون لتسق ورد الخدود وتَعض على عُناب أناملها ببرَد أسنانها » يترنم صاحبنا الببغاء بهذه الأغنية العتيقة وهو لا يدرى انه يسمم ببلادته دسم اللغة ويمتهن بسخافته وابتذاله شرفها ونبالتها

قد تكلمت عن المستنبط ونفعه والعقيم وضرره ولم أذكر أولئك الذين يصرفون حياتهم بوضع القواميس وتأليف المطولات وتشكيل المجامع اللغوية — لم أقل كلمة عن هؤلاء لاعتقادى بأنهم كالشاطئ بين مد اللغة وجزرها وان وظيفتهم لا تتعدى حد الغربلة — والغربلة وظيفة حسنة ولكن ما عسى يغربل المغربلون اذا كانت قوة الابتكار فى الأمة لا تزرع غير الزوان ولا تحصد الا الهشيم ولا تجمع على بيادرها سوى الشوك والقطرب ؟

أقول ثانية ان حياة اللغة وتوحيدها وتعميمها وكل ما له

علاقة بها قد كان وسيكون رهن خيال الشاعر فهل عندنا شعراء ؟

نعم عندنا شعراء ، وكل شرقي يستطيع أن يكون شاعراً فى حقله وفى بستانه وامام نوله وفى معبده وفوق منبره وبجانب مكتبته . كل شرقى يستطيع أن يعتق نفسه من سجن التقليد والتقاليد ويخرج الى نور الشمس فيسير فى موكب الحياة . كل شرقى يستطيع أن يستسلم الى قوة الابتكار المختبئة فى روحه — تلك القوة الأزلية الأبدية التى تقيم من الحجارة أبناءً لله

أما أولئك المنصرفون الى نظم مواهبهم ونثرها فلهم أقول : ليكن لكم من مقاصدكم الخصوصية مانعاً عن اقتفاء أثر المتقدمين خير لكم وللغة العربية أن تبنوا كوخاً حقيراً من ذاتكم الوضعية من أن تقيموا صرحاً شاهقاً من ذاتكم المقتبسة . ليكن لكم من عزة نفوسكم زاجراً عن نظم قصائد المديح والرثاء والتهنئة خير لكم وللغة العربية أن تموتوا مهملين محتقرين من أن تحرقوا قلوبكم بخوراً

أمام الانصاب والأصنام . ليكن لكم من حماستكم القومية دافعاً الى تصوير الحياة الشرقية بما فيها من غرائب الألم وعجائب الفرح نخير لكم وللغة العربية أن تتناولوا أبسط ما يمثل لكم من الحوادث فى محيطكم وتلبسوها حلة من خيالكم من اتعربوا أجل وأجمل ما كتبه الغربيون .

obeikandl.com

تذكارات محب [1]

كنت فى الثامنة عشر عند مافتح الحبُّ عينيَّ باشعته السحرية ، ولمس نفسى لأول مرة باصابعه النارية ، وكانت سلمى كرامه المرأة الاولى التى أيقظت روحى بمحاسنها ، ومشت أمامى الى جنة العواطف العلوية حيث تمرُّ الايام كالاحلام وتنقضى الليالى كالاعراس

سلمى كرامه هى التى علمتنى عبادة الجمال بجمالها ، وأرتنى خفايا الحب بانعطافها ، وهى التي انشدت على مسمعى أول بيت من قصيدة الحياة المعنوية

أيِ فتى لايذكر الصبية الأولى التى أبدلت غفلة شبيبته بيقظة هائلة بلطفها ، جارحة بعذوبتها ، فتاكة بحلاوتها ؟ من منا لايذوب حنيناً الى تلك الساعة الغريبة التى اذا انتبه فيها فجأة رأى كليته قد انقلبت وتحولت ، وأعماقه قد اتسعت وانبسطت وتبطنت بانفعالات لذيذة بكل مافيها من مرارة

---

(١) هذه توطئة رواية « الاجنحة المتكسرة »

الكتمان ، مستحبة بكل ما يكتنفها من الدموع والشوق والسهاد. لكل فتى سلمي تظهر على حين غفلة فى ربيع حياته وتجعل لانفراده معنى شعرياً وتبدل وحشة أيامه بالأنس ، وسكينة ليالية بالأنغام

كنت حائراً بين تأثيرات الطبيعة وموحيات الكتب والاسفار عند ماسمعت الحب يهمس بشفتى سلمى فى آذان نفسى ، وكانت حياتى خالية مقفرة باردة شبيهة بسُبات آدم فى الفردوس عند ما رأيت سلمى منتصبة أمامى كعمود النور فسلمى كرامه هى حواء هذا القلب المملوء بالاسرار والعجائب وهى التى أفهمته كنه هذا الوجود وأوقفته كالمرآة أمام هذه الاشباح . . . حواء الاولى أخرجت آدم من الفردوس بارادتها وانقياده أما سلمي كرامه فادخلتنى الى جنة الحب والطهر بحلاوتها واستعدادى ، ولكن ما أصاب الانسان الاول قد أصابنى ، والسيف النارى الذى طرده من الفردوس هو كالسيف الذى أخافنى بلمعان حده وأبعدنى كرهاً عن جنة المحبة قبل أن أخالف وصية وقبل أن أذوق طعم ثمار الخير والشر

واليوم ، وقد مرت الأعوام المظلمة طامسة بقدامها رسوم تلك الايام ، لم يبق لى من ذلك الحلم الجميل سوى تذكارات موجعة ترفرف كالأجنحة غير المنظورة حول رأسى ، مثيرة تنهدات الأسى فى أعماق صدرى ، مستقطرة دموع اليأس والاسف من أجفانى . . . وسلمى — سلمى الجميلة العذبة قد ذهبت الى ماوراء الشفق الازرق ولم يبق من آثارها فى هذا العالم سوى غصات أليمة فى قلبى وقبر رخامى منتصب فى ظلال أشجار السرو . فذلك القبر وهذا القلب هما كل ما بقى ليحدث الوجود عن سلمى كرامه . غير أن السكينة التى تحفر القبور لاتفشى ذلك السر المصون الذى أخفته الآلهة فى ظلمات التابوت ، والاغصان التى امتصت عناصر الجسد لاتبيح بحفيفها مكنونات الحفرة . أما غصات وأوجاع هذا القلب فهى التى تتكلم وهى التى تنسكب الآن مع قطرات الحبر السوداء معلنة للنور أشباح تلك المأساة التى مثلها الحب والجمال والموت

فيا أصدقاء شبيبتي المنتشرين فى بيروت اذا مررتم بتلك

المقبرة القريبة من غابة الصنوبر ادخلوها صامتين وسيروا ببطء كيلا تزعج أقدامكم رفات الراقدين تحت أطباق الثرى وقفوا متهيبين بجانب قبر سلمى وحيوا عنى التراب الذى ضم جثمانها ثم اذكرونى بتنهدة قائلين فى نفوسكم : هنا دفنت آمال ذلك الفتى الذى نفثه صروف الدهر الى ما وراء البحار ، وههنا توارت أمانيه وانزوت أفراحه وغارت دموعه واضمحلت ابتساماته ، وبين هذه المدافن الخرساء تنمو كآبته مع أشجار السرو والصفصاف ، وفوق هذا القبر ترفرف روحه كل ليلة مستأنسة بالذكرى ، مرددة مع أشباح الوحشة ندبات الحزن والأسى ، نائحة مع الغصون على صبية كانت بالأمس نغمة شجية بين شفتى الحياة فأصبحت اليوم سراً صامتاً فى صدر الارض

استحلفتكم يارفاق الصبا بالنساء اللواتى احبتهن قلوبكم أن تضعوا أكاليل الأزهار على قبر المرأة التي أحبها قلبى — فرب زهرة تلقونها على ضريح منسىّ تكون كقطرة الندى التى تسكبها أجفان الصباح بين أوراق الوردة الذابلة

أمين الريحانى

من زعماء الحركة الفكرية فى سوريا ومن دعائم النهضة الأدبية فى المهجر . دعته صحافة سوريا فيلسوف الفريكة (نسبة الى مسقط رأسه) على أننا لانخطىء اذا دعوناه فيلسوف سوريا . فقد كان ولم يزل امام المفكرين فيها

وُلد الريحانى فى الفريكة سنة ١٨٧٩ وهاجر إلى الولايات المتحدة وهو في الحادية عشرة من سنيه . فاقتبس الآداب الانكليزية والعربية دون مدرسة . على أنه تردد الى مدرسة ليلية زمنا استعدادا لدرس الشريعة . ثم دخل كلية الحقوق وغادرها دون أن ينهى دروسها ، ونزع الى فن التمثيل فكانت له فيه اجادة دعته الى الانخراط فى سلك جوقة تمثيلية أميركية ، وما لبث أن تركها وانقطع الى سواها حتى بارح البلاد عائدا الى سوريا سنة ١٨٩٨ وهى أول عوداته الى الوطن . فاقام زمنا ثم عاد الى الولايات المتحدة . ولم يلبث أن ركب البحر ووجهته سوريا للمرة

الثانية سنة ١٩٠٤ فاقام فيها ست سنوات وهى سنوات تنسكه الشهيرة فى وادى الفريكة — سنوات أثمرت وعادت بالنفع على الاداب العربية . وكيف لا وفيها تمخضت قريحة الريحانى بالريحانيات وكتاب خالد وسواهما . ثم آب الى أميركا ومكث فيها حتى سنة ١٩١٢ فعاد الى سوريا عودته الثالثة ، ثم رجع الى الولايات المتحدة ولم يبارحها بعد ذلك الا مرتين تردد فيهما الى المكسيك هربا من شتاء نيويورك القاسى .

والريحانى يكتب بالانكليزية كالعربية وله مقالات نفيسة فيها ظهرت فى أمهات الجرائد الاميركية : ومن كتبه المطبوعة بالانكليزية « كتاب خالد » و « رباعيات أبى العلاء المعرى » المنظومة شعرا و « خارج الحريم » وله بالعربية من الكتب المطبوعة « الريحانيات » الشهيرة الجزء الأول والثانى . ونبذة في الثورة الافرنسية و « المكارى والكاهن » وزنبقة النور وله الجزء الثالث والرابع من الريحانيات تحت الطبع

المدينة العظمى

السلم والهاوية لانهاية لهما فى الحياة . لأن الدرجة الأولى منهما فى المهد والدرجة الأخيرة فى القبر . أينما كان المرء اذن يرى كثيرين من الناس فوقه وكثيرين تحته . وكلما ارتقى درجة فى معالم الفوز والفلاح يسمع أصواتاً بعيدة تدعوه الى ماهوفوقها.

وكما فى الناس كذلك فى المدن . فلا يحق للوندرة مثلا أن تصعر خدها للقاهرة ولا للقاهرة أن تشمخ بانفها على بيروت . لأن حسنات المدينة العظمى قد تكثر فى هذه وتقل فى تلك.

المدينة العظمى هى التى لاتتداخل في شؤونها سلطة أجنبية . هى التى يكون كل امرىء فيها تمثالا للحرية والاخاء . هى التى يتعلم الاولاد الاستقلال وعزة النفس فى مدارسها قبل كل العلوم . هى التى تكون الصداقة فيها أمرا مقدسا والاخلاص محترما كسر من الاسرار الالهية

قيل لبعض العرب :

ـ من سيدكم ؟

قالوا : ـ فلان

قيل : ـ بم سادكم ؟

قالوا : ـ احتجنا الى علمه واستغنى عن دنيـانا . وقال سيد من العرب لقومه :

ـ اعلموا أنى ما سـدت عليكم حتى صرت عبدا لـكم أغدق على سائلكم . وأصفح عن جاهلـكم . وأحوط حريمكم وأدفع عن غريمكم . فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى . ومن فعل فوق فعلى فهو فوقى . ومن فعل دون فعلى فهو دونى .

فهل يا ترى يوجد بين المتمدنين اليوم من تجتمع فيه هـذه الخلال الشريفة كلها ؟ أفلا يحق لمدينة المستقبل أن تفاخر سائر المدن بمثل هذا الامير ؟

وبين العرب من كان أعظم منه ، دخـل ابن العباس علَى علىّ بن أبى طالب خارج الـكوفة وهو يقطب نعـله. فقال له :

ـ ماقيمة هذه النعل ؟

فقال ابن عباس : ـ لاقيمة لها

فقال له علىّ : ـ لهي أحب الى من إمرتكم . إلاّ ان أقيم حقا أوأدفع باطلا .

فالمدينة العظمى هى التى يكثر فيها مثل هؤلاء الرجال العظام الصالحين .

oberkandl.com

الجوع

اذا نضبت فى البلاد الانهار ، واستحالت السماء نحاساً حاميا ترسل أشعة شمسها نقمة وانتقاما فتحرق الاشجار وتأكل النبات ، وتجفف الارض ، وتجعل الحقول كالصحراء يحدث فى الناس مجاعة لا يد جانية فيها للانسان

واذا غزا الجراد زرع أمة ومروجها ، يلتهم الاخضر واليابس كشمس النفود فى الصيف ، فلا يترك وراءه شيئاً يصلح للغذاء ، يحدث فى البلاد مجاعة لايد أثيمة فيها للانسان.

واذا التى الوباء في أمة عصاه ، وشرع يفتك فيها فتكا ذريعاً اوجب عليها النطاق الصحى فابعدها من خيرات الارض خارج تخومها ، قد تجهز عليها مجاعة لايد جانية فيها للانسان

واذا كانت أمة في حرب فحاصرها العدو وحبس عنها

الزاد فأبت التسليم صاغرة ، قد تهلك جوعاً، ولا ذنب فى ذلك على العدو أو عليها اما اذا وطأ الجيش المحاصر أرضها وأبت البقية الباقية الرضوخ والاستكانة ملجة فى العصيان فقد يتخذ الفاتح التجويع طريقة للاستيلاء التام وقد يكون الذنب في ذلك عليها

ولكن أمة طائعة أولياء أمرها ، أمة مخلدة الى السكينة أمة بريئة طاهرة الذيل ، تربأ على الضيم صبورة ، سكوتة جلودة ، تربتها في الاقل لم تزل جيدة ، أنهارها لم تزل جارية سماؤها لم تزل مقيمة على عهودها ترسل غيثها خيراً شتاء ربيعاً — فى مثل هذه الامة لا تحدث مجاعة الا لاحد أمرين — لجهل فيها أو لجور فى أولياء أمرها

والمجاعة التى لا يد فيها للطبيعه أو للقضاء او لله انما هى جناية الانسان الكبرى على أخيه الانسان

أن خيرات الارض لتكفي أبناء الارض وان التكافل والتعاون لمن أوليات الوجود الانسانى الحضرى منه والمدنى . فاذا أغفلنا الآن البحث فى أسباب المجاعة ونظرنا

فى نتائجها فقط تحتم علينا النظر أيضاً فى الطرائق الفعالة لازالتها — ولازالتها سريعاً.

أمة صغيرة فى بقعة قصية من الارض تتضور اليوم جوعا . وأمة كبيرة عزيزة الشأن عظيمة الصولة يفيض عنها من خيراتها أليس من العدل اذا — بل من الواجب المقدس أن نأخذ مما فاض عن هذه لنطعم تلك الجائعة ؟ نعم . وما يصح فى الامم يصح فى الافراد . وهذا التعديل فى خيرات الارض عدل لافضل فيه لمن أعطى ولا شكر عليه ممن قبل العطاء

الامة المنكوبة أمتنا أيها الناس . الجياع فيها اخواننا . وان الفائض عنا اليوم لا حق لنا به البتة . لا والله . ليس ما فاض من خيرنا اليوم لنا بل هو للجياع فى بلادنا . ولو كنت من أولى السيادة والسلطان لاخذت اليوم من الشبعان لاطعم الجائع — لفرضت على كل سورى مقداراً من المال يدفعه راضياً أو مكرهاً

وماذا يضر السورى لو دفع اليوم دولاراً واحداً لاغاثة

اخوانه فى الوطن . دولاراً واحداً على كل سوري الفقير والغنى سواء

انى من أصحاب الرأي لامن أصحاب السيادة لذلك لا أستطيع ان أضرب ضريبة هى حق والله على كل سوري . ولكنى عملت بطريقتى وبحق فدعوت اخوانى فى المهجر فى مقال سبق الى الصوم يوما واحداً يدفعون ما يوفرون فى هذا اليوم اعانة للمنكوبين . وقلت اننا اذ خبرنا الجوع نرثى لحال الجائع فنسرع لاغاثته

وكي لا يقال انى أبشر بما لا أفعل بدأت بنفسى عاملا برأيي . فانى محاسب لقلبي اذا مال وللسانى اذقال . لذلك صمت عن الاكل والشرب والتدخين يومين وصالا . ودفعت نفقة اليومين الى اللجنة وجئت فى هذا المقال أطلع القارىء على ما خبرته من نتائج الصوم ومفعول الجوع

فاذا كانت كلمتى فى الصوم ذهبت أدراج الرياح عسى أن يؤثر عملى فيحمل اخوانى فى المهجر على الاقتداء بى من الساعة السابعة مساء حين بدأت أصوم حتى الساعة

الثالثة بعد ظهر اليوم الثانى لم أشعر قط بالجوع . ولكننى أحسست بطنين فى أذنى وبتجفف فى لسانى . وبشىء من المرة فى فمى . على انى في الساعة السابعة أى بعد مرور أربع وعشرين ساعة بدأت أشعر نوعا بالجوع وبالعطش وبشىء من الدوار.

كنت أصيل هذا النهار أتمشى وصديق لى فى احد شوارع المدينة فمررنا بمطعم صفت فى شباكه أنواع الخبز والكعك والحلويات فوقفت امام الزجاج الحائل دوني وتلك الجنة ناسيا ذاتى أمثل فى نفسى ولداً فقيراً جائعاً لا فلس فى يده يفثأ به سورة جوعه . اخترقت الزجاج عيناى وما فيهما من نهمة الى الاكل فتحلب اللعاب فى فمى فغصصت بمر مذاقه وترغرت عيناً بالدموع . هذا وانا لا أشعر حقاً بمضض الألم فى معدة فارغة وقلب يقتر شوآء لانى أجوع مختاراً والمسكين الذى صورته أمامى بل أمام تلك المآكل المصفوفة وراء الزجاج يجوع مكرها . ان جوعى ينتهى ساعة أريد وأما جوعه فلا يزول الا ساعة يتصدق عليه أحد

المحسنين فقلت فى نفسى أن حالة اجتماعية توجد مثل هذا المسكين الجائع لحالة ذميمة ، منكرة ، فاسدة ، جهنمية. واذا كانت كذلك فكيف بها والمسئولون عنها يجوعون عمداً أمة باسرها ؟

لقد شاركتك جوعك يا أخى فتعال أقاسمك كسرتى عله تعالى يبعدنى من ذل الحاجة والاستجداء الذي هو أشد ويلا من مضض الألم الذى يولده الجوع . الا فليردد كل سوري هذا الكلام — هذا الابتهال وليمثل حول مائدته الفاخرة صبياً فقيراً عضه الجوع ، أنهكه ، أقعده ، أضناه ، أورثه الهزال والخبل فيسارع الى اغاثته.

ومن غريب أمر الصوم ان صاحبه لا يشعر بالجوع الا في الساعات التى اعتاد أن يأكل فيها . فانى بعد ان أتممت الساعة العاشرة استفقت نصف الليل ولا اثر فى نفسى للصوم ، كأنى قضيت البارح وقد اكلت على عادتى ثلاث مرات .

ولكننى نهضت صباح اليوم الثانى وفىّ ساعة الفطور نهمة الى الاكل . وهذا لاشك من قبيل العادة . على أن مظاهر الجوع ازدادت نوعا وشدة . فتحت فمى فاذا به كالقطن جفافا بلعت ماتحلب من رضابى اذ مررت بركوة القهوة فاذا به أمر من الحنظل . نظرت الى لسانى فاذا به أبيض كالحليب . لمسته باصبعي فاذا به كعباءة الراهب خشونة . أما أذناى فازدادتا طنينا . وأحسست أن رأسى جسم غريب ركب موقتا بين كتفى . نزلت الدرج وعدت الى غرفتى فألمت بى نوبة من الارتعاش شديدة أقعدتنى بضع دقائق وأنا أرتجف حتى أطرافى . وكنت أثناء ذلك أحس بموجات حارّة تتماوج فى داخلى وبالاخص فى جوار المعدة .

فقلت فى نفسى قد عضك الجوع يارجل . قد دنوت من اخوانك فى الوطن . نعم بدأت فى اليوم الثانى أشعر بالجوع وأتألم من شعورى . فهذا الضعف فى رجلى وبالاخص فى مفاصلى وركبتى ان هو الا احتجاج المعدة على

صاحبها . بل على باريهـا . بل على من فى أيديهـم خزائن الأرض المسئولين عن توزيع خيرات الدنيا على عباد الله.

مررت بركوة القهوة ثانيـة فوقفت أمامهـا راغبا مترددا ثم امتنعت لأنى آليت على نفسى أن أصوم يومين كاملين . وفى البيت المقيم فيـه أناس فى الدور الاسـفل يطبخون طعامهم فتتصاعد أحيانا روائح المطبوخات فتسطع فى منزلى وتزعجنى جدا . ولـكن اليوم يوم الصوم والجوع — فان امرءاً يقتر شواء يتصاعد صوت نشيشه من فوق النار الى منزلى لاحب عندى من مطرب أو مطربة . وان روائح الشواء والابازير فى أنفى لالذ من روائح المسك والبخور .

ولت ساعة الفطور وولى معها مضض الجوع ولاغرو فان للعادة حتى فى الاكل كما قلت تأثيرا شـديدا فينا . اذ ما السبب يا ترى فى رغبتى بالطعام فى ساعات اعتـدنا أن نتناوله فيها وفى نسيانه بل الرغبة عنه فى الفترات بينها ؟ أما الفكر منى ففى اليوم الاول من صومى كان لم يزل رائقا

صافيا . ولكنه فى اليوم الثانى أصبح خاسئا حسيرا .

ومن غريب أمر الصوم أيضا أن الذى يصوم يومين يستطيع أن يصوم خمسة بل عشرة أيام وصالا . فانا فى مساء اليوم الثانى لم أشعر بشهوة الى الاكل شديدة كمساء اليوم الأول . وقد قرأت أخبار اناس صاموا أسبوعين وثلاثة دون أن يتعطل فيهم عضو من أعضائهم الحيوية كالكبد أو الكليتين أو الرئة أو القلب .

ومعلوم أن الاقدمين كانوا يكثرون من الصوم والتنحس . وقد قال ابن خلدون — « وقد شاهدنا من يصبر على الجوع أربعين يوما وصالا » .

على أنه لاينكر أن الصوم أياما وصالا يفقد المرء قواه الجسدية والعقلية فان العضلات والاعصاب لتتقلص وتذوب من الاقتيات مما كونت منه وأن العقل ليخسأ ويمرض من تشرب دم لاغذاء فيه ، أى أن الصائم طويلا الطاوى أياما يعيش على لحمه ودمه ، يأكل بالحقيقة نفسه .

نعم اخوانى . ان الجائع يعيش على لحمه ودمه . والجائع كرها يقاسى من مضض الذل ـ ذل الحاجة وذل الطلب ـ ما هو أشد من مضض الجوع

كتبت مرة نبذة أنتقد فيها بعض التعابير العربية التى نرددها نحن الكتاب وقلما نحقق تمام معناها . من جملتها قولنا . « الجوع المدقع » فاستغربت اذ عدت الى القاموس النعت وقلت أن لاأحد يجوع جوعا يلصقه بالدقعاء أى التراب ، فمهما اشتدت سورة الجوع لاتبلغ درجة يصح أن ننعتها بالدقوع ، ولكنى تحققت اليوم خطأى ، فان الجوع يوهن ، يهزل ، ينهك ، يقعد ، يهلك ، واذا كان الجائع هائما فى البرية يطلب الاعشاب يقتات بها فليس من الغريب أن يسقط فى الطريق من شدة الجوع ، نعم رأيت كلاب السوق فى الشرق فى جوع الصلق بطونهم ووجوههم بالتراب ، وكنت أجل البشر عن ذلة الكلاب وجوعهم

فوا أسفاه ! اننا لنتحقق اليوم من حال بلادنا صحة التعبير العربى بل تحققنا التقصير فيه لا الغلو ، مئات بل

ألوف من اخواننا مطروحون اليوم فى الطرق والاسواق تتلاشى أجسامهم عضواً عضواً، عيونهم شاخصة الى الشمس نهارا الى السماء والنجوم ليلا ، يسألون بارى الاكوان كسرة من الخبز ، قلوب واجفة ، أبصار خاشعة ، نفوس حزينة حتى الموت ، معد تلتصق بالاضلع منهم كما تلتصق أجسامهم بالدقعاء — بالتراب . فى فمهم المرة الصفراء — مر الحياة — يبتلعونها ثم يبتلعونها ، فى أعصابهم الملتصقة غصص الرعشة فى أجسامهم المرض والوهاء.

شيوخ وأطفال ، نساء ورجال ، يسارعون الى المدينة من الجبال علهم يلتقطون — فى أسواقها ومن فضلات ذوى اليسار فيها كسرة من الخبز فيتساقطون فى الطرق كورق الخريف وقد استحوذ عليهم الجوع المدقع . أفلا تشاركهم جوعهم يوما واحداً أيها السورى ! أفلا تمدهم بنفقة يوم من أيام يسرك !

ووالله لو مر بهؤلاء المناكيد الجياع وحش ضار أو عقاب كاسر لمال بوجهه عليهم ، لرثى لحالهم . واننا نعلم ان

فى الحيوان غريزة هى أشرف من غريزة الانسان التى أفسدتها المدنية والتكالب فيها. فمن الطيور من يطعم صغارها من قلبها اذا لم تجد لهم رزقا.

فيا أيها السوري النائى عن اخوانك المنكوبين جئت أخبرك خاشعاً لا مفاخراً انى صمت يومين فانهكنى أقعدنى يوم واحد من الجوع. فكيف بمن يصومون أياما بل أسابيع؟ اليوم! اليوم! من كان غنياً فليستعفف! من كان متردداً فى التبرع فليتقدم! من كان متقاعداً فلينهض! من كان فى سبات فليستفق! وما الفائدة من القول غدا غدا فان مثل هؤلاء المستحجرة قلوبهم يلوحون بثربدتهم للجائع الاقرب الى الضارى من الحيوان منهم الى الانسان.

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

الصوم: التقشف يوما واحداً! تملكون تلك النفس منكم الشارهة الى اللذات فان مثل هذه السيادة على أنفسكم لاشرف من وجاهة يجرها لكم المال. صوموا يوماً واحدا وتصدقوا علينا بدولارين مما رزقتم. الامة أمتنا جائية على

قارعة الطريق تئن من ألم الجوع — الجوع المدقع ، الجوع المهلك ، فهلا تسارعنا ، بل تسابقنا الى إغاثتها؟ « اليس بلسان في جلعاد ؟ »[1]

---

(١) ننقل للقراء الكرام بمناسبة هذه المقالة ما جاء في جريدة الاهرام الغراء (عدد ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٠) وهو

صوم والي كورك

منذ ١٢ أغسطس الى اليوم

قبض الانكليز على ماك سويني حاكم كورك الارلندية لاشتراكه بكيد المكايد للضباط والجنود مع جماعة السن فين وسجنوه في لندره فانقطع مختاراً عن الاكل والشرب منذ ١٢ أغسطس الى اليوم ولكنه لم يمت والرجل مشهور بانه من زعماء الارلنديين وبانه يتولى قيادة آلاى المتطوعين ويدير الحكومة الارلندية الجمهورية وقد باع املاكه الواسعة وأنفق ثمنها في سبيل الدعوة الارلندية ولما كان سلفه قد مات قتلا فانه تنازل عن نصف راتبه لارملة ذلك السلف .

وليس عجيباً ان يعيش الانسان ٣٠ يوماً بلا طعام فمنذ عهد

ريح سموم

وبربك القيوم ، ما الذى تظنه يدوم ، صوت سمعته فى الكروم ، وقد مرت عليها ريح سموم ، فجفت الارض وعادت جزرة كثيرة الكلوم ، وسقطت الجفان عن فسائلها وفزعت أوراقها الى الغيوم ، صوت صارخ من وراء النجوم ما الذى تظنه يدوم ؟

ليس بعيداً صام المسمى سوكشى ٤٠ يوماً ولكنه كان يشرب كل يوم كاساً واحداً من الماء المحلى بالسكر . ويقول الاستاذ ان مستر لزون وشوسات أن الصائم لا يموت الا اذا فقد ثلث وزنه وقال أحد أساتذة مدرسة الطب العليا فى باريز كلما كان الصائم كثير الشحم طال عمره ولكنه يشترط لطول الحياة ان يظل الصائم بلا حركة حتى لا يضيع ما فيه من حرارة الحياة . وبما أن متوسط حرارة الحياة فى جسم الانسان ٣٧ درجة فالهبوط الى ٢٤ درجة يقضى الى الموت حتما والذى يخشى منه على الصائم تسمم الدم ولكنهم يتفادون عن ذلك بشرب الماء الذى يحول دون هذا التسمم وبواسطة الماء يؤجل الموت أياماً بل بضعة أسابيع

من صروح زاهية فخيمة، من رياض زاهرة كريمة، من بروج شاهقة عظيمة، من معامل حديثة أو قديمة ما الذى تظنه يدوم؟

من اسراب منورة تحت الانهار، من أرتال فيها تدفعها الكهربائية أو يجرها البخار، من بوارج ماخرات فى البحار، من اساطيل تنذر بالدمار، من معالم فى الامصار والاقطار، ماالذى تظنه يدوم؟

من انفاق تحت الاديم ملؤها عجاجة، تنفثها وتثيرها القطر الولاجة، من قباب بين السحاب وهاجة، من جسور فوق المياه جسيمة، من متاحف فى عواصم العالم فخيمة، ما الذى تظنه يدوم؟

من سدود محكمة منيعة، من خلج كونتها الطبيعة، من تُرع تؤلف بين البحار، وتجمع بين بعيد المطارح وشاسع الديار، من خطوط حديدية تطوق الارض، من أسلاك برقية تطوق المسافة فى الطول والعرض، ما الذى تظنه يدوم؟

من أبنية ذات الطبقات العشرين ، من احياء فى المدن الكبرى ياوى اليها المساكين ، من معابد وبيع لا أثر فيها للدين ، من أصقاع لا صوت فيها للصالحين ، ما الذى تظنه يدوم

من قصور مكتنفةٍ برياض خضراء ، من صروح الكبراء والأمراء ، من بيوت الرؤساء والأغنياء ، من أكواخ البؤساء والفقراء ما الذى تظنه يدوم؟

من شرائع ودساتير ونظامات ، من تقاليد وعوائد وخرافات ، من أديان وعقائد وخزعبلات ، من دول وممالك وحكومات ، من أحزاب وطوائف وجماعات ، ما الذى تظنه يدوم ؟

صوت صارخ من وراء الغيوم ، صوت ريح سموم ، أى شئ يدوم .

مهلاً مهلاً ان هذه كلها لصالحة فى ذاتها ، ان هذه كلها لحسنة فى وقتها ، لكل شئ من العز والمجد أركان ، لكل شئ من أبناء البطر والأشر أعوان ، لكل شئ برهة

من دهره الوسنان ، ساعة أو عام أو حين من الزمان ، الطويل من الدهر والقصير سيان ، ولكن قل لى بربك القيوم مبدع الشمس والنجوم ، أتظنها الى الأبد تدوم ؟

الى حين يا أخى الى حين ، إى ورب العالمين الى حين ، وبعد فقل لى هل أنت من الممترين ، أم أنت من المفندين السائلين ؟

أما فى زمانك تأملت المغاور فى الصخور ، فاذكر أن الأمطار والرياح تكونها ، والأمطار والرياح تهدمها ، ان كل صالح مقبول حتى يظهر على ميدان العالم قائم على المظالم البشرية ، أو مناضل عن الحقيقة الأخوية ، أو باذل مهجته فى سبيل الانسانية ، ان كل شىء فى مركزه حريز حصين ، الى أن يزلزله رجل حصيف رشيد ، أو امرأة صالحة ذات رأى سديد ، فيعلو اذ ذاك صوت المطالب بحقوق المستضعفين المستذلين ، ويلحق الجبارون بالأخسرين ، أبد الآبدين ودهر الداهرين .

وبعد أن تلاشت ريح السموم فوق الجبال ، تلاها

نسيم لطيف الاعتلال . فدخلت معه غابة من الصنوبر كثيفة الظلال وسمعت من خلال الأغصان ، صوت المحبة والمعروف والحنان ، سمعت صوتاً يقول ورب الاكوان، لا يدوم إلا الاحسان والعرفان ، لا يدوم الا السجايا الروحية الفريدة ، سجايا النفس البشرية الخالدة ، لا تدوم إلا آثار النهضات الجليلة . ومآثر الأنفس السامية النبيلة ، وما أسخف الجدل الوهمي امام مشروع جليل ، وما أوهن التعاليم الوضعية فى وجه خطب جسيم ، وما أوهى الأقوال والآراء اذا قوبلت بنظرة من رجل عظيم ، أو صادفت نفحة من نفحات حكيم ، وعند ما يرفع مثل هذا رأسه وصوته ولا فرق عندى رجلا كان أو امرأة يقف دولاب الأعمال ، ولا يبقى شئ على حال ، عندئذ يبطل الجدال ، وتنكسر شوكة المال ، وتحشر الرجال ، وتكبر الآمال ، يومئذ تنقلب المجتمعات . وترتعد فرائص الطغاة الجفاة ، عندئذ تتغير العادات ، وتهب على الأرض الذاريات السافيات ، فيسأل السائل من وراء النجوم أين مالكم

ونفوذكم ، أين تقاليدكم وعقائدكم ، أين شرائعكم ودساتيركم ، أين حصونكم وصروحكم ، أين مصانعكم ومعاهدكم ، أين زخرفكم وسفاسفكم . فقل ان هى الا برهة من الدهر الوسنان ، ساعة أو عام أو قرن من الزمان ، قل وبربّ الأكوان ، لا بقاء لما سوى آثار الجد والعرفان ، والمعروف والحب والاحسان ، فهى هى الجبال الراسيات ، وهى هى الحصون الواقيات ، وهى هى الباقيات الصالحات . بلى ورب السماء والنجوم ، لن تدوم إلا آثار النفوس الطاهرة ووجه ربك الحى القيوم .

ميخائيل نعيمة

كاتب شاب لم يبلغ الرابعة والثلاثين حتى الآن . ولكنه أدرك من الأدب شأواً يقصر دونه الكثيرون .

وُلد فى بسكنتا بلبنان وتلقى دروسه الابتدائية فى مدرسة للروسيين هنالك ثم انتقل منها الى المدرسة الروسية الداخلية فى الناصرة . فدرس فيها أربع سنوات انتدبته المدرسة بعدها للذهاب الى روسيا لاتمام دروسه فى مدارسها العالية . فسافر الى مدينة بلتافا ودخل كليتها وأنهى دروسها . ثم غادر روسيا الى أميركا ودرس الحقوق فى جامعة واشنطن ونال شهادتها فى الشريعة عام ١٩١٦

ميخائيل نعيمة من الساعين فى تأسيس عصر ذهبي للآداب العربية فى المهجر . وله تفنن ومهارة ومقدرة فى

الانتقاد فلما يجاريه فيها أحد . والأدباء يتوسمون فيه منتقداً جريئاً ساعياً فى تسيير الآداب العربيـة على منهاج التقدم ، منكباً على تنقية حقـل الأدب من زوان الـكويتيين والشعارير . وله « رواية الآباء والبنون »

obeikandl.com